وسط الحفظ بالمتحف الوطني للأثار بسطيف

أ. التجاني مياطة

جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي

abstract

The importance of conservation and protection within our museums of topics and issues important to preserve the historical and cultural heritage from extinction and damage, and in this regard was the subject of our study which deals with the National Museum of Antiquities Setif An Empirical Study of the central conservation.
The seriousness of the subject lies in highlighting the negative and positive aspects, views, storage and conservation center of the current museum and the means and methods used to maintain the holdings of external influences, both human and biological also climatic.
The study includes the solutions and suggestions in order to provide a lasting climate to maintain the museum's holdings of all effects, in addition to providing the means for the prevention of all workers from the ravages and furniture appropriate in line with the functions of the display, storage and commensurate with the museum's holdings

إذا أردنا قراءة التاريخ المكتوب وغير المكتوب فما علينا إلا المحافظة على إرثنا الحضاري الذي تحتضنه متاحفنا ومواقعنا الأثرية، ومنها فالمؤسسة المتحفية تمثل البنك الحافظ والحاضن لهذا الإرث فهي تعمل على جمعه والحفاظ عليه.

وبالرغم مما تحتويه المتاحف الجزائرية من مقتنيات أثرية متنوعة ومتعددة ومختلفة المصادر والفترات التاريخية، فإنها تواجه صعوبات وتحديات في المحافظة على هذه المقتنيات انطلاقا من الوسط المناخي الذي يحيط بالتحف المعروضة أو المخزونة بالمتحف.

بالإضافة إلى طرق العرض والحفظ، وعدم التحكم في مستويات الحرارة والرطوبة والكائنات الحية والفطريات،وكل هذه أخطار تتسبب في تلف المقتنيات والمتحف الوطني للآثار بسطيف هو نموذج من المتاحف الوطنية الذي يعاني هو الآخر من المخاطر تحديات عوامل التلف في مجال حفظ وصيانة المقتنيات من عوامل التلف المختلفة ومحاولة معرفة العلاقة بين عمارة المتحف والأضرار التي يمكن أن تلحقها ،وإتمام النقائص الخاصة بوسط الحفظ.

وتكمن جدية الموضوع في إظهار مزايا وعيوب العمارة المتحفية من جوانبها سواء التقنية أو وضعية الحفظ الحالية بالمتحف وكيفية توجيه وتفعيل عمل هذه

المؤسسة على الوجه الصحيح في إيجاد وسط حفظ ملائم تتوفر فيه شروط الحماية والصيانة.

يعاني متحف سطيف كغيره من المتاحف الجزائرية من مشاكل عويصة ناتجة عن عدة أسباب مختلفة مثل العمارة والمحيط والتأثيرات البشرية وغير البشرية :فما هي طرق وأساليب حفظ وحماية المجموعات الأثرية؟

يعتمد متحف سطيف على عدة مناهج في طريقتي عرض وتخزين التحف الأثرية وستحاول هذه الدراسة إبراز الطرق المعتمدة في ذلك بإيجابياتها وسلبياتها.

عانقت منطقة سطيف التاريخ مند القدم ويعود تأريخها إلى العصور الغابرة والحفريات التي أجريت بمناطق عدة كشفت على أدوات يعود تاريخها إلى العصر الحجري القديم الأسفل مثل منطقة عين الحنش التي تبعد عن منطقة سطيف بحوالي 32 كلم والتي وجدت بها حفريات تعود إلى 2 مليون سنة.1

أ – سطيف في العصر القديم:

كانت سطيف تسمى " أزديف " وهي كلمة بربرية تعني التربة السوداء أي بمعنى خصوبة التربة، وهي الاسم الأصلي للمنطقة وفي العهد الروماني أطلق عليها اسم ستيفيس. وكان يقطنها مند آلاف السنين السكان الأصليون (الأمازيغ) والذين تنظموا في شكل قبائل اتحدت بعد القرن الثالث والثاني قبل الميلاد. فتأسست مملكتين هما مملكة مساسيلية يحكمها سيفاكس ومملكة مسيليا بقيادة ماسينيسا2، وكانت سطيف تابعة إلى مساسيلية.

وفي سنة 225 ق م تحالف سيفاكس مع قرطاجة بينما ماسينيسا بقي حليفا لروما، وبعد انهزام قرطاجة تحصل ماسينيسا على نوميديا جزاءا له وكانت منطقة سطيف جزءا تابعا لها، وبعد وفاة ماسينيسا اشتدت المنافسة بين أحفاده ومنهم يوغرطة الذي كان ينوي منح الاستقلال لنوميديا، ولكنه فشل في ذلك واستغلت روما هذه الظروف وتدخلت بعد محاولة أهالي سطيف التصدي لها بقيادة يوغرطة الذي قتل ماريوس قرب مدينة سطيف لكنه انهزم فيما بعد سنة 105 ق.م وهذا لا يعني استسلام النوميديين النهائي بل كانت بعض المقاومات من حين إلى آخر حتى مقتل بطليموس آخر ملوكهم سنة 39م، وسيطرت روما على ممالكها وضمت سطيف لموريطانيا القيصرية.3

اهتم الرومان بسطيف نظرا لموقعها الجغرافي والإستراتيجي المتميز بوجود سهول شاسعة ذات الأراضي الخصبة ففكروا أن يجعلوها مخزنا لهم لتخزين القمح وهو ما دفع بالإمبراطور الروماني " نيرفا " في سنة 97 م إلى تأسيس مستعمرة ستيفيس لقدماء الجيش الروماني وأطلق عليها اسم " كولونيا نيرفيانيا أوغسطا

مارسياليس فنيترانوروم سيتيفانسيوم "Colonia nerviana augusta martialis veteranorum sitifensium 4

ومن أجل ذلك فرض النظام الاستيطاني وتم إنشاء إدارة ومراكز للحراسة سميت بـ: كاستيلا (معسكر) في منطقة سطيف كفكرة أولية ثم تطورت خلال القرنين الثاني والثالث ميلادي لتصبح مدينة استوطنها مجموعة من السكان الأجانب الذين قدموا من اليونان ورومانيا وإفريقيا البروقنصلية وكانوا يعيشون في بلد واحد مع السكان الأصليين رغم اختلافهم الديني والعقائدي.5

ونظرا للانتفاضات والثورات التي شهدتها إفريقيا الشمالية عرفت الدولة الرومانية تدهورا وأزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية دفعت بالإمبراطور الروماني " ديوكليسان " في أواخر القرن الثالث ميلادي حوالي 297 م إلى تقسيم موريطانيا القيصرية إلى ناحيتين منهما موريطانيا القيصرية السطائفية وعاصمتها سيتيفيس، والتي كانت مستقلة إداريا وعرفت ازدهارا اقتصاديا أوصلها إلى التحكم في التبادل التجاري خاصة الحبوب.

وشهدت مدينة سطيف خلال الفترة المسيحية حركة عمرانية مميزة تمثلت في حي الكنائس وبروز بعض المدن المجاورة لها مثل كويكول "جميلة " و"مونس" (واد الذهب، بني فودة). رغم وجودهم من قبل في نفس الفترة مع ستيفيس أي خلال القرن الأول لكن هذا الازدهار العمراني لم يدم طويلا بحيث انهار أمام الثورات المحلية التي استمرت حتى أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية وساهمت في تفكيكها، وتأثر عمران المدينة أكثر بسبب الهزة الأرضية التي هدمت كل المدينة تقريبا سنة 419 م وحسب المؤرخ القديس أوغسطين فإن الزلزال كان عنيفا وحطم هياكلها العمرانية وأرغم السكان على البقاء خارج بيوتهم حوالي خمسة عشرة يوما6. و قبل أن تضمد جراحها غزاها الوندال تقريبا سنة 429 م.7

ووصل البيزنطيون إلى سيتيفيس بقيادة الجنرال " سالومون " الذي قام بترميم المدينة وأقام بها البيزنطيون أسوارهم وحصونهم وجعلوا منها عاصمة لمقاطعة موريطانيا الأولى ومركزا عسكريا بعد ما كانت مركزا اقتصاديا فقط، ومازالت القلعة البيزنطية التي بنيت سنة 540 م شاهدة على مرورهم بالمدينة8. ولم تستمر الهيمنة البيزنطية طويلا نظرا لعدم سيطرتها على زمام الحكم بسبب تزايد الثورات وظهور الإسلام.

ب – سطيف في العهد الإسلامي:

وكان الفتح الإسلامي للجزائر سنة 27 هـ / 647 م، على يد عقبة بن نافع وفي نفس التاريخ كان دخول المسلمين إلى سطيف التي رحب أهاليها بالرسالة الدينية والسياسة الاجتماعية التي حملها العرب بعد تفهمهم لمحتواها وأهدافها السامية.9

في خلال هذه المدة (ثلاثة قرون تقريبا) عرفت المدينة ازدهارا اقتصاديا ترجمه الجغرافيون بالوصف؛ منهم حسن الوزان الذي أشار إلى أنها مدينة كبيرة ومهمة وحسب وصفه لها "... وهي محاطة بأسوار مبنية بحجر جميل ... وكانت في العصور الغابرة متحضرة ... ".10

وبظهور الدويلات في بلاد المغرب أصبحت مدينة سطيف تابعة للدولة الفاطمية، حيث شهدت استقرارا سياسيا واقتصاديا.11

وبعد انتقال الحكم الفاطمي إلى المشرق أصبحت سطيف مدينة تابعة للحكم الزيري، ثم الحكم الحمادي، لكنها فقدت أهميتها السياسية والأيديولوجية بعدما اختيرت مدن أخرى لتكون عاصمة للدول الإسلامية في المغرب مما أدى إلى بعدها عن التغيرات السياسية والدينية وأفقدها أهميتها كمدينة حضارية في المنطقة.

هذا ما أطلق عليه المؤرخون بالفراغ التاريخي للمدينة وما أكده وصف حسن الوزان في كتابة وصف إفريقيا "... لكنها انحطت منذ الفتح الإسلامي وخصوصا عند مجيئ الذين حطموا أجزاء من أسوارها ولم يبق منها سوى مائة دار مسكونة ... "12. أما في الفترة العثمانية فلم يكن لمدينة سطيف أهمية كبيرة.

3 – موقع المتحف في المدينة:

كون متحف سطيف بني خصيصا ليكون متحفا عصريا وتم مراعاة الكثير من الشروط اللازمة لإنجاز متحف جديد أختير له موقع في وسط المدينة يتميز بسهولة الوصول إليه سواء بالنسبة للزوار أو للعمال أنفسهم، وقربه من أهم معالم المدينة؛ كالمسجد العتيق و حديقة رفوفي (الحمامات الرومانية)، وعين الفوارة، وحديقة الأمير عبد القادر.

ويحده من الجهة الشرقية مقر الولاية والقطاع العسكري اللذان تفصلهما والمتحف طريق مزدوج للسيارات، ومن الشمال دار الثقافة وفندق الهضاب، ومن الغرب حديقة التسلية، وهي نفسها الموقع الأثري لمدينة ستيفيس ويحده من الجنوب الطريق الرئيسي للمدينة (طريق قسنطينة).

تاريخ متحف سطيف:

قبل أن نتطرق إلى نشأة تاريخ متحف سطيف لابد لنا من إعطاء لمحة وجيزة عن نشأة فكرة المتحف وتاريخ ظهوره.

فالأثر هو كل ما خلفه الإنسان وبصمته لتاريخ الحضارات الإنسانية ولأننا من الصعب التطلع على حضارة الإنسان بدون بقايا مادية، فالتحف الأثرية ترجمة لحوادث تاريخية هامة تحفظ في المتحف، هذا الأخير يعتبر كمؤسسة دائمة دون هدف مربح لخدمة المجتمع وتطويره، مفتوحة للجمهور، وهي تقوم بأبحاث تتعلق بالشواهد المادية للإنسان وبيئته فتقتنيها ،تحفظها، تنشرها، ولا سيما تعرضها لأغراض دراسية، تربوية، متاعية13. فالمتحف هو الذاكرة الخالدة للمجتمعات إذ أنه يحفظ تراثها وتاريخها كما يعتبر رمز التقدم الحضاري.

فالمتحف ليس وليد عهدنا هذا، بل إن طعم جميع الأشياء قديم دون شك، حيث اعتبر المختصون أن المتاحف الأولى هي تلك التي ارتبطت بالحياة العقائدية للشعوب سواء الرسوم والنقوش الجدارية المعبرة عن حياتها اليومية من متاحف في الهواء الطلق (الطاسيلي بالجزائر أهرامات الفراعنة بمصر، أضرحة وقبور الملوك النوميديين)14 حيث كانت تتبعهم إلى مثواهم الأخير مجموعة من التحف الثمينة اعتقادا بالحياة بعد الموت.

وكانت أيضا في الفترة القديمة15)(الحضارة الإغريقية) حسب ما يرى بعض العلماء أن اليونان ممن يعود لهم الفضل في إعطاء المفاهيم الأولى للمتحف بحيث اختاروا معبدا في أثينا وجمعوا فيه كل ما هو فني من تماثيل وتحف تخص آلهة الفنون " موزيوم " MOUSEOUM وأطلقوا عليه هذا الاسم، مثل الرومان حيث اتخذوا معابدهم كمقرات لتجمع تماثيل وكل ما يقدم كهدايا من أشياء ثمينة ويسمح لعامة الشعب برؤيتها كأولى المعارض المتحفية وسموه بدورهم موزيوم MUSEUM، لذلك فكلمة موزي MUSEE بالفرنسية والمتداولة الآن مستمدة من هاتين الكلمتين.16

أما في فترة القرون الوسطى فكانت أوربا لها فكرة متبلورة بحيث كل ما هو فني وله قيمة مادية كبيرة كان يجمع في الكنائس ويمنع من رؤيته كل الناس، أما العائلات الحاكمة فلها متاحف خاصة بها والتي استعملت خلال الفترة الحديثة لتمويل المتاحف العامة في أوربا.

في نفس هذه الفترة لم يكن المتحف بالنسبة للعرب والمسلمين مفهوما عاما ولكن قصور الخلفاء والأمراء كانت عبارة عن متاحف تعج بشتى أنواع التحف الفاخرة الثمينة في كافة أقطار العالم، أما على الطريفة المنظمة فالفاطميون [17] أول من اهتم بالعرض المنظم في قصورهم بتقدير القيمة الفنية والأثرية للمعروضات.

وإن توسع حقل المعرفة الإنسانية الذي جاء عن طريق رجال الدين وكذا المكتشفات المختلفة، وبداية من القرن الخامس عشرة ظهرت فكرة إحياء أمجاد الماضي (RENAISSANCE) جمع كل ما تعلق بالحضارات القديمة وعرضها للناس.

وحتى القرن السابع عشرة والثامن عشرة بدأت فكرة تقديم المتحف بمفهوم العصر الحديث أين سارعت الدول الأوربية بجمع كل ما وجد في قصور الملوك والأمراء ووضعها داخل مراكز خاصة وفي أغلبها بنايات قديمة مثل القصور.

واعتمدت الدول الأوربية وخاصة فرنسا في تأثيث متاحفها من تراث الحضارات العالمية المتواجدة في مستعمراتها مثل الجزائر، دون أن تهمل الأهمية البالغة التي بدأت تحضى بها التحف و الآثار من قبل العلماء لتعليم كافة أبناء المجتمع، ولو كانت البلدان العربية متأخرة نوعا ما بالنسبة للبلدان الغربية، فإن بولاق بمصر من أول المتاحف التي عرفتها عواصم البلدان العربية سنة 1858م.

أما في الجزائر فأول متحف هو المتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة سنة 1897م وخلال هذا القرن أصبحت التحف لا تعرض بطريقة فوضوية أو لغرض التزين. بل صنفت بطريقة منهجية وعلمية أدت إلى إنشاء متاحف جد متنوعة منها متاحف أثرية ومتاحف فنية،متاحف طبيعية ومتاحف علمية.18

والجزائر تملك متاحف عديدة من هذا القبيل بأصناف مختلفة كالمتاحف البلدية والجهوية ومتاحف على الهواء الطلق، وأخيرا المتاحف الوطنية ومن بينها المتحف الوطني للآثار بسطيف.

ظهرت فكرة جمع التحف في سطيف سنة 1896 م حيث تم اختيار حديقة " أورليون " – سابقا– الأمير عبد القادر حاليا لإقامة معرضا في الهواء الطلق لأحجار أثرية هامة اكتشفت في جميع أنحاء الولاية تمثلت في أعمدة من الحجر الكلسي وعدد لا بأس به من التيجان الكورنثية والدورية والأيونية ونقائش منها الجنائزية والنذرية وتعود كلها إلى الفترة الرومانية.

وفي سنة 1932 م أفتتحت قاعة بثانوية " ألبارتيني " محمد قيرواني – حاليا – احتوت على تحف أثرية صغيرة مصنوعة من البرونز، والزجاج، والفخار، وحجر الصوان، والعظام الحيوانية والمستحثات وغيرها جمعت هذه الأخيرة اثر اكتشافات عفوية وتحريات أثرية.

وفي سنة 1968 م حول قصر العدالة القديم إلى متحف جهوي لمدينة سطيف، جمع فيه ما تم اكتشافه خلال الحفريات الأثرية المنجزة في الفترة ما بين 1959

إلى 1966 م بمواقع مختلفة من المدينة القديمة "سيتيفيس" كالمقبرة الشرقية وحي المعبد وحي الكنائس عثر فيها على أدوات أثرية مختلفة.

وضمت أيضا التحف المجلوبة من الحفريات المنجزة في الفترة ما بين 1977 م إلى 1984 م بحي الثكنات العسكرية الفرنسية، حيث تم العثور على أدوات من البرونز والفخار والزجاج والحديد والعظام ... إلخ، منها التي تعود إلى الفترة الرومانية في وسط المدينة الرومانية " سيتيفيس " ومنها التي تعود إلى الفترة الإسلامية في الحي الإسلامي وبعضها أوتي به من قلعة بني حماد بالمسيلة ويعود للفترة الحمادية.

بسبب كثرة اللقى الأثرية وأهميتها العظمى والوضعية المزرية التي كانت عليها دار العدالة القديمة المهددة بالانهيار، جرى التفكير في إنشاء متحف جهوي جديدا تجمع فيه الآثار، وبالفعل تحقق ذلك في 30 أفريل 1985 م بإنشاء متحف جهوي بسطيف، الذي يعتبر أول مبنى أنجز خصيصا ليكون متحفا بعد الاستقلال بالجزائر من ناحية عمارته أو تجهيزه بأحدث الوسائل، ثم رقي إلى رتبة متحف وطني في 06 جويلية 1992 م بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 92 – 282 المؤرخ في 05 محرم عام 1413 هـ الموافق لـ 06 يوليو 1992 الذي يتضمن إحداث المتحف الوطني لمدينة سطيف ويسمى بالمتحف الوطني للآثار.

تحتل طرق حفظ وأمن المتحف مكانا هاما ضمن اهتمامات المسؤولين عن المتاحف على مستوى العالم حيث يشكل حفظ وسلامة المتحف إحدى الأولويات التي توليها الهيئات العالمية اهتماما بل ويسعى القائمون على أمور وشؤون المتاحف إلى توفير أفضل وأحسن السبل لحماية المتاحف وما تتضمنه من تحف.

أولا – **الحفظ:** عبر الأربعين سنة الماضية، تطور ميدان حفظ وصيانة الآثار من مهنة بسيطة إلى علم مهم ومكمل لعلم الآثار، فهو لايتطلب درجة عالية من المهارة اليدوية فحسب لكنه يتطلب فهما لعلم الآثار الحديث ووظائفه. ومعرفة بالعلوم المادية المتطورة وتقنيات الترميم التقليدية والقديمة. بالإضافة إلى الإحساس الجمالي وهذا التطور يجب أن يشمل مجالات الآثار كافة.

ولتأكيد هذه الفكرة تبنت جمعية " الترميم " للمجلس العالمي للمتاحف وثيقة بعنوان: " المرمم، تعريف المهنة ".19

1 – **مفهوم الحفظ:** له مفهومان:

أ – لغة: الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة. الحفاظ، المحافظة على العهد والمحماة على الحرم، والمحافظة تعني المواظبة على الأمر.20

ب – اصطلاحا: كلمة حفظ تعني باللغة الإنجليزية conservation المشتقة من الكلمة اللاّتنية consertio والتي تعني الصيانة، الحفظ والعلاج.

وظهرت هاته الكلمة بعد أعمال الترميم التي كانت بطريقة عشوائية لا أساس علمي يتحكم فيها حتى تحفظ الأثر بشكله الأصلي، وأطلق على هاته الأعمال الترميم restauration.

وخلال القرنين 18 و 19 م ظهرت اتجاهات جديدة تنادي بالحفاظ على التراث حيث تكون هناك أعمال ترميم فنية وموجهة لعلاج التلف دون فقدان قيمتها الأثرية والتاريخية.21

ومع بداية القرن 20 م أصبح مصطلح صيانة الآثار يطلق على الأعمال والدراسات العلمية التي يقوم بها المختصون في ترميم وصيانة وعلاج الآثار من جميع مظاهر التلف المختلفة وفق أسس علمية من خلال تحديد خصائص التلف الفيزيوكيميائي بطرق علمية.22

وخلاصة القول أن الحفظ والترميم وسيلتان لمعالجة الأضرار الواقعة على الآثار، أما الحفظ فهو يرتكز على البحث وإتباع أساليب الوقاية لمنع التلف والتدهور والحفاظ على الأثر لمدة أطول.23

أما الترميم فيطلق على الأعمال التطبيقية التي يقوم بها المرمم على الأثر وإصلاح ما أتلف منها.24

2 – **أهداف الحفظ:** تتمثل أهداف الحفظ في النقاط التالية:

– المحافظة على الجذور الإنسانية من الاندثار .

– المتابعة والاستمرارية في حفظ المقتنيات إلى أبعد حد من الصيانة الدائمة .

– إنشاء تراث ضخم في خدمة الجمهور من خلال الدراسة والعرض والبحث.25

3 – **حماية التحف:** حماية المعروضات هي محاولة للحفاظ عليها أطول مدة ممكنة وذلك لقيمتها التاريخية أو العلمية وأهميتها بالنسبة للأجيال القادمة فتوجب المحافظة عليها وعدم تعريضها للعوامل المسببة للتلف ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى ما يلي:

أ – 1 – **العوامل البيئية:** تعتبر الرطوبة من أهم أسباب تلف المعروضات26، والرطوبة عبارة عن بخار الماء العالق في الجو27، وبزيادة الرطوبة في الهواء تزداد قابلية المعروضات لامتصاص كمية الماء العالق، ومن هنا تتكون الفطريات التي تسبب تآكل المعروضات ويمكن أيضا أن تسبب نقص درجة الرطوبة في الهواء في جفاف المعروضات وتيبسها.28

ويجب التحكم فيها وتكون عادة محصورة بينِ 45° و 65° 29، وهي درجة مناسبة فمثلا إذا كانت الرطوبة النسبية مرتفعة تؤدي إلى تعفن وإزدياد حمض الكربون والكلور، لبعض المواد وإذا حدث العكس أي إنخفاض درجة الرطوبة تصبح بعض المواد هشة وسهلة الإنكسار30، وتتراوح درجة الرطوبة في متحف سطيف ما بين 30° و 36° وذلك راجع لطبيعة المنطقة القليلة الرطوبة.

ويقل تأثير هذا العامل على مقتنيات متحف سطيف وذلك راجع لموقع المدينة في منطقة قليلة الرطوبة.

أ – 2 – **الحرارة:** بما أن الرطوبة والحرارة في الهواء مرتبطان بشكل واضح فإن هذا يؤثر على عملية التكثيف ،فالهواء يفقد الحرارة بسبب ارتفاع الرطوبة31. وحينما تصل التحف إلى المتحف فإنها تأتي من أماكن متفاوتة في درجات حرارتها 32 لذا ينبغي أن تحفظ هذه المعروضات في درجة حرارة مناسبة وهي 16° و 24° درجة32. وهذا طبعا يؤثر على المعادن الأضعف.

إذن يجب أن نتذكر أن الانخفاض في درجة الحرارة يسبب إرتفاعا في الرطوبة النسبية33. ومتحف سطيف مجهز بالتكييف الهوائي بحيث يحافظ على تلطيف الجو وفقا لما تتطلبه المقاييس للحفاظ على المجموعات الأثرية بحرارة متوسطة بين 24° و 25° درجة.

أ – 3 – **الضوء:** له مصادر مختلفة سواء كان طبيعيا أم صناعيا حيث يسبب بعض التغيرات الكيميائية في تركيب بعض التحف العضوية كما يحدث الضوء أيضا تغيرا في ألوان بعض التحف المصنوعة من الزجاج أو الفخار أو غيرهما34. فأكسدة الضوء الذي يسبب هذه التفاعلات المعقدة تصبح الأقمشة والجلد والأوراق والصوف الأصفر وكذلك العديد من المواد الاصطناعية المستخدمة كمواد لاصقة هشة عند تعرضها للضوء35.

وفي متحف سطيف استخدمت الأضواء الاصطناعية والضوء الطبيعي مع أخذ كل التدابير اللازمة للتقليل من تأثيرها السلبي على التحف.

أ – 4 – **الماء والغبار والهواء الملوث:** تؤثر هذه العوامل منفردة أو متجمعة على الكثير من المعروضات حيث تتعرض التحف لذرات الغبار بكميات هائلة ويزيد تأثيره عندما يكون الهواء الداخلي غير متجدد أو مشبع بالطفيليات والمكروبات المجهرية الضارة36. فالماء يلحق ضررا فيزيائيا وكيميائيا بالمعثورات الأثرية ويعرف بـ " العامل المحفز " حيث أنه يحفز العديد من عوامل التحلل الأخرى وبالتالي فإنه يسهل معظم التفاعلات الكيميائية ويمكن من نمو الكائنات

الحية37. أما انعدامه مطلقا فإنه يوفر أحوالا ممتازة للحفظ إلا أنه يسبب انكماشا وهشاشة في المواد العضوية38.

إذن الماء والغبار والهواء في حيز مغلق تظل الرطوبة المطلقة ثابتة ولكن الرطوبة النسبية تختلف لذلك فإن الهواء داخل كيس من البلاستيك في مكان العرض أو في مخزن المتحف سيصبح أكثر جفافا بارتفاع درجة الحرارة وأكثر رطوبة بهبوطها39، حيث دلت التجارب العلمية أن للهواء المجفف رطوبة نسبية أقل من 40 %.

والزائر لمتحف سطيف يلاحظ بعض الغبار المتراكم على الخزانات الزجاجية والناتج من جراء دخول الزوار بكثرة فيجلبون معهم الغبار بالإضافة إلى حركة الرياح التي تجلب الأتربة داخل المتحف من خلال البوابة التي تفتح وتغلق.

ب – **العوامل البيولوجية:** تؤثر الكائنات الحية في المواد ويعرف ذلك بالتلف البيولوجي حيث يظهر في المواد العضوية فقد تتحلل لتوفر مصدر طعام للقوارض والحشرات والفطريات.

من المعروف أن الفئران هي أكثر الحيوانات القارضة التي تشكل خطرا على المعروضات لسهولة دخولها لمناطق التخزين وترتب المعروضات ذات التأثير العضوي على رأس القائمة الأكثر تعرضا للتلف بسبب هذه الحيوانات القارضة40.

فعلى سبيل المثال تقرض الفئران البطاقات الورقية المصاحبة للمعروضات عند التخزين وبضياع هذه البطاقات تضيع قيمة هذه المعلومات الهامة بالنسبة للآثر والتي يصعب تعويضها بعد ذلك41.

يعد التلف جزء من الدورة الطبيعة للتلف فقد تتحلل المواد العضوية لتوفر مصدر طعام للقوارض والحشرات والفطريات وغيرها. أو لتوفير مأوى لرخويات الثاقبة للأخشاب البحرية أو أنها قد تضعف بواسطة منتجات فضلات الأبيض مثل بول الفئران أو الأحماض العضوية من الكائنات الحية الدقيقة42.

كما أن الحشرات الزاحفة تؤثر سلبا على التحف كالصراصير، وللوقاية من هذه الأخطار التي تسببها هذه الحيوانات والحشرات توجب استعمال الطرق الآتية:

– استعمال المصايد والسموم.

– رش المعروضات بالمبيدات غير ضارة بها لحمايتها من الحشرات.

– فحص التحف جيدا قبل إدخالها للمتحف.

جـ – **العوامل البشرية:** تعد سوء الرعاية السبب الرئيس لتلف المعثورات داخل المتحف، ويمكن تجنب إعادة المعالجة إذا تم رعاية التحف بعناية وخبرة جيدة وإذا

ما حفظت وعرضت بطريقة جيدة فبعض الخطوات البسيطة قد توفر الكثير من الوقت والمال43.

يعتبر الإنسان أحد أعظم الكائنات الحية تدميرا للمعثورات الأثرية فمعالجة المادة على النحو الخاطئ يؤدي إلى فقدان الكثير من المعلومات وكذلك المعالجة غير الضرورية.

ويعد الإخفاق في استرجاع كافة الأدلة المرتبطة بالمادة الأثرية أحد أوجه المعالجة الخاطئة ومن مظاهر هذه المشكلة عملية مسح عملة معدنية أو كشط إناء فخاري هش.

أخيرا فإن ضعف الإدراك بما يحيط بالمادة الأثرية من تلف وكيفية التعامل معه سوف يقودان إلى فقدان الأدلة وضياعها إلى الأبد، لذلك يجب التنبه باتخاذ الإجراءات السليمة والدقيقة44.

أيضا من أهم الوسائل الحفاظ على التحف العنصر البشري سواء من التلف أو من السرقة فالعمال داخل المتحف قد يساهمون في تلف المعروضات عند تخزينها أو عرضها بطريقة غير علمية أو يسهل سرقتها إذا كانت وسائل الحماية ناقصة.

فيمكن حماية المعروضات من السرقة بتعيين حراس ذو كفاءات عالية، وذوي خبرة والإقلال من عدد الأبواب التي تؤدي إلى مناطق التخزين بالمتحف وتجهيزه بأجهزة خاصة بمراقبة الأبواب والقاعات مثل الكاميرا وأجهزة الإنذار.

ومتحف سطيف مجهز بأحدث أجهزة المراقبة والمتمثلة في الكاميرات وأجهزة الإنذار الموزعة داخل المتحف بشكل منظم ولديه فريق من الحراس يسهرون على حماية التحف بداخله، إلا أن موقع المكتبة التي يتوافد عليها عدد كبير من الزوار جاء في مكان غير مناسب لها حيث توجد في موقع يحتم على الزائر المرور بالمخازن وورشة الترميم مما يعرضها لخطر السرقة أكثر.

د – **الحرائق:** تعتبر النار مصدر خطر على التحف والمتحف وعماله وتحدث لعدة أسباب منها:

– تدخين العمال بالمتحف أو الزائرين له.

– حدوث تماس كهربائي للأسلاك.

– الاستخدام السيئ للمواد القابلة للاشتعال أو الأجهزة الكهربائية.

ولتجنب هذه الحرائق أو التقليل من أضرارها إن وقعت توجب على العاملين بالمتحف أخذ الحيطة والحذر وعدم التلاعب بالمواد القابلة للاشتعال وتخزين معدات التدخل والإطفاء45 في مكان يسهل الوصول إليه في حالة حدوث خطر46، ووضع لافتات تمنع التدخين داخل المتحف.

أما بالنسبة لمتحف سطيف فاستعملت لافتات منع التدخين داخل أرجاء المتحف كما وزعت معدات التدخل والإطفاء في أماكن يسهل الوصول إليها وبشكل غاية في التنظيم.

هـ – **إجراء الفحوصات الدورية:** من الأمور الضرورية في مجال حماية التحف والعينات عملية الكشف الدوري على المعروضات المتحفية، وذلك بفحصها في المخازن دوريا 47، وتختلف الفترات اللازمة لفحص العينات حسب أنواعها وحسب طرق التخزين المستعملة وأيضا حسب طرق إعداد المخازن ضد العوامل البيئية والبيولوجية48.

3 – **حماية العاملين بالمتحف:** إذا كانت حماية المعروضات في المتحف من أهم الأولويات فإن حماية العاملين به تأتي على رأس هذه الأولويات، حيث أن مسؤولية السلامة الشخصية للأفراد العاملين بالمتحف مسؤولية كبيرة وهامة يجب اتخاذ كافة الإجراءات للحفاظ على العاملين وتجنيبهم مخاطر الحوادث من جراء تعاملهم مع المعروضات المتحفية.49

4 – **حماية المبنى والزوار:** من الأمور الهامة في اختيار موقع المتحف والمبنى أن يكون هذا المكان بالكامل مؤمنا تأمينا كاملا، وتنقسم المناطق التي تحتاج إلى حماية وتأمين مبنى المتحف إلى منطقتين وهي:

- **المناطق الخارجية:** مثل حماية المبنى والحديقة المتحفية من الأخطار الخارجية كالسطو والسرقة.

- **المناطق الداخلية:** مثل حماية المتحف من الداخل والزوار والموظفين والتحف النادرة.

أ– **التأمين الخارجي للمتحف:** أول ما يهدد المتحف خطر السرقة، وأهم ما نركز عليه هو الحماية الخارجية وتحديد موقع المبنى من أول الاعتبارات عند تحديد نوع الحماية فإذا كان المتحف خارج المدينة معزولا عن غيره من المباني ومحاط بأشجار أو حديقة متحفية فإن وسائل التأمين الخارجي تختلف عما إذا كان هذا المتحف يقع داخل المدينة وحوله حديقة متحفية أو مبنى ملاصق.

وموقع متحف سطيف جاء وسط المدينة وحوله حديقة متحفية في شارع واسع وبناية المتحف لا تحيط بها الأشجار العالية ، التي تسهل عملية السطو كما أن المناطق المحيطة بالمتحف مضاءة ليلا وللمتحف نوافذ مزودة بقضبان حديدية مناسبة له ولا تشوه المنظر الخارجي للبناية بالإضافة إلى أن أبوابه مزودة بأقفال

ذات جودة عالية كل هذه العوامل ساعدت على تأمين الخارجي للمتحف بالإضافة إلى دوريات رجال الأمن حول المتحف ليلا.

ب – **التأمين الداخلي للمبنى:** مما لاشك فيه أن الحماية الداخلية للمبنى قد تبدو سهلة من أول وهلة ولكنها في غاية الصعوبة إذ يتطلب حماية المعروضات والمخازن بالمتحف من موظفي وعمال المتحف، وكذلك الزائرين وأيضا من أفراد الحراسة أنفسهم فالمتحف في العادة مملوء بالزوار وكذلك العاملين فيه خلال الفترة الصباحية إلى المساء وتلك الفترة تتطلب حماية المتحف من الثلاث الفئات السالفة الذكر 50.

وكذلك يجب ملاحقة وملاحظة الزوار على مختلف أعمارهم دون إحساسهم بهذه المراقبة حتى لا ينفروا من زيارة المتحف مرة أخرى، ومن الأمور المهمة التي يجب الانتباه لها بالنسبة للزوار أن يتأكد الحراس من أن جميع الزوار قد غادروا المتحف قبل إغلاقه في نهاية اليوم خوفا من تخفي أحدهم داخل قاعات المتحف ثم سرقته للتحف ليلا وخروجه بعدها عندما تخف الحركة داخل وخارج المتحف فالخروج أسهل من الدخول.

إن العمل في الترميم الأثري لابد من تطويره أكثر وهذا نتيجة للنظرة الجديدة تجاه هذا التخصص. وعدم وجود موارد للبحث عن طريق أساليب جديدة وقبل أن يتم البحث في أساليب جديدة للحفاظ، يجب تقصى سبب تحلل القطع الأثرية من خلال ما تبذل الجهات المختصة سواء على المستوى العالمي أو الوطني من جهود عظيمة في الوقت الحاضر.

بينما تمت خطوات في هذا المجال على سبيل المثال التصوير بالأشعة، وطرق التجفيف، إلا أن هناك حاجة ملحة لتقنيات جديدة للرفع والتقصي والتنظيف والاستقرارية، فقد تأتي الأفكار من مجالات عديدة كالكيمياء والفيزياء وعلم المواد وغيرها، إلا أن جميعها يجب أن يطوع وفقا لهشاشة المواد الأثرية وتفردها.

الهوامش:

[1] - Sahnouni. (M)et autres, Récentes recherches dans le gisement Hanech, préhistoire acadimie de sciences, 1996, p.p 639 – 643.

[2] - GSELL. (S) : Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T VIII, Alger,1972. p41

[3] - GSELL.(S) :Atlas Archéologique de l'Algérie, Feuille N° 16, T I , 2éme édition, Alger, 1997, n° 364 ,P 22

[4] - Ibid.

[1] – منصوري (خديجة): " سيتيفيس الرومانية نشأتها وتطورها "، في كتاب الملتقى الوطني سطيف آثار وحضارة وتطور (28 – 30 أفريل 1997)، المتحف الوطني سطيف، 2004، ص 22 – 37.

[6] - Gsell (S) : Atlas Archéologique de l'Algérie , Feuille 16 n° 25,alger, 1997, P 23.

[1] – بوعزيز (يحي): الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1965، ص. 60 – 62.

[8]- Op - cit, P 24.

[1] – بورويبة (رشيد): الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 137 – 138 .

[1] – الوزان (حسن بن محمد): وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 49- 51.

[1] – نفسه، ص 141- 143.

[1] – نفسه، ص 52- 53.

[1] – المجلس الدولي للمتاحف ICOM، نظام الآداب المهنية، الوكالة الوطنية للآثار، الجزائر، د ت، ص 06.

[1] – حملاوي علي، سلسلة " محاضرات علم المتاحف "، معهد الآثار، الجزائر، ص 8 – 11.

[1] – لعمى (عبد الرحيم)، المتحف ودوره في المجتمع " متحف أحمد زبانا بوهران نموذجا "، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2006، ص 04.

[1] – حملاوي (علي)، مرجع سابق، ص 12 – 14.

[1] – بوزقندة (عمر)، " متحف الفنون الإسلامية برباط المنشير "، مجلة الحياة الثقافية، العدد 202 وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، أفريل 2009، ص 82.

[1] – حملاوي (علي)، مرجع سابق، ص 16.

[1] – ج – أ م- (كرونين)، و . س (روبنسون)، أساسيات ترميم الآثار، ترجمة عبد الناصر بن عبد الرحمان الزهراني، جامعة الملك سعود، الرياض، 2006 م، ص 10.

[1] – ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، م 07، ط 1، دار هناء، بيروت، 1992، ص 441.

[1] – فايزة (إبراهيمي)، وسط الحفظ بمتحف تلمسان، مذكرة ماجستير، قسم علم الآثار جامعة تلمسان، 2007 م، ص 6.

[1] – المرجع نفسه، ص 07.

[23] - Feilden(b.m),conservation of hustoric building ,ICCRIM,Rome, 1998.p 1

[1] – ماري (يرديكو)، الحفظ في علم الآثار " الطرق والأساليب العلمية لحفظ وترميم المقتنيات الأثرية " ترجمة أحمد شاعر، المجلد 02، المعهد العلمي للآثار، القاهرة، 2002 ص 07.

[1] – نفسه، ص 07.

[1] - حامد قادوس (عزت زكي) علم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة حضري، الإسكندرية، 2005. ص 313.

[1] – الرزقي (الشرقي)، " مخاطر الوسط المناخي المتذبذب أو غير المتجدد بأجنحة المتحف وانعكاساتها السلبية على التحف الفنية واللقى والأثرية المحفوظة أو المعروضة في كنفه "، مجلة حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 08، الجزائر، 1990. ص 107.

[1] – حسام الدين (عبد الحميد)، مقدمة لعلم صيانة وترميم الآثار والمقتنيات، المحلية العلمية للبحوث وترميم وصيانة المقتنيات الثقافية والفنية، المجلد01، مركز البحوث الترميم والصيانة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997. ص،11 – 12.

[1]– الرزقي (الشرقي)، مرجع سابق، ص 107.

[30] - Emmonnél dé morgerie et outrés ,présention et sécuents dans les musées canité technique de la scurité France ,1978. p 123 .

[1] – ج – أم – (كرونين)، وس– (روبنسون)،مرجع سابق، ص 52 – 53.

[32]- Alin(soret),humidité rélative et temperateur dans muséo,fiche,p22.

[1] – حامد قادوس (عزت زكي)، مرجع سابق، ص 313.

[*] – مثل السيف والسكين عندما تكون مصنوعة من الحديد ومقبضها خشب أو عاج وما شابه ذلك.

[35] – Esrait (j-jacques),naval d'eclairement dans muséo, fiche ,p31.

[1] – ج– أم – (كرونين) ،و–س (روبنسون)، مرجع سابق، ص 54 – 55.

[1] – محمد رفعت (موسى)، مدخل إلى فن المتاحف، ط 01، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، 2002، ص 64.

[1]– حملاوي (علي)، سلسلة محاضرات علم الآثار، معهد الجزائر، دت، ص 45.

[39] - Sélim(abdul-hak)etude d'ensenble sur les musée algeriens,reformes et madernisation,consultont de L'unesco,alger, 1964.p 89.

[40] - La conservation préventive,sous le patronage, paris, 1992.p121.

[1] – ج – أم (كرونين)، وس (روبنسون)، مرجع سابق، ص 38 – 40.

[42] - Berdcou (Marie claude),la consevation en archeoloie ,Paris,p 71.

[1] – حامد قادوس (عزت زكي) ،مرجع سابق ،ص 314.

[*] – الأيض هو عملية التحول الغذائي في الأجسام الحية.

[1] – ج أم – (كرونين)، و س (روبنسون)، مرجع سابق، ص 37.

[46]- Manual d'accompa,la conservation prevantive dans les musées, unversite de québac Montéal, p50.

[1] – ج – أم – (كرونين)، و س (روبنسون)، مرجع سابق، ص ص 48 – 49.

[48] - Verne(e), horgen(g-c),la mise en reserve des collection de musée, unesco, paris,p26.

[49] - G(m),sauvgarde de collections du patrimoine, paris,p 23.

[50] - Mattais(p),maura (j) ,and rinaldi(g), the degradatiob of lead antiquities from italy ,studies in consertion ,p87.

[51] - Watson(g),conservation of lead and lead alloys ussing, edta solution in miles and pollard,1986.

[1]– حامد قادوس (عزت زكي)، مرجع سابق، ص 317.

* - للإشارة فإنه يوجد مخزنين كبيرين الأول يسمى مخزن Roger Guery، و الثاني يسمى مخزن الآنسة محمدي.

[1]– محمد رفعت (موسى)، مرجع سابق ،ص 70-71 .